البطل في شعرِ علي بن خلف الحويزي
(ت ١٠٨٨هـ - ١٦٧٧م)

د. شريف بشير أحمد
جامعة الموصل / كلية الآداب

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٨/١٢/٢ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٩/١/٢٢

ملخص البحث :

تُعلنُ الدراسةُ أنّ البطلَ في شعرِ (علي بن خلف الحويزي)⁽¹⁾ حكايةُ محاربٍ، وسيرةُ أميرٍ، وصورةُ شخصيةٌ مرويَّةٌ في شعرٍ كان الشاعرُ هو الراوي له ومعه، والشاهدَ عليه، والمخَبِر عنه في مراحل زمنيةٍ متعددةٍ ينطقُ فيها الشعرُ بالمخفي/ المسكوتِ عنه في توصيفِ (البطل)، ورسْمِ صورتِهِ، وتحديدِ سماتِهِ ووظيفتِهِ وأفعالِهِ في الواقعِ؛ لأنَّ الشاعَر يُدْلي بشهادةٍ لغويَّةٍ عن مرئيٍّ/ منظورٍ، أو معنويٍّ يُدركُ بالحسِّ والشُّعورِ، ويتمحورُ حول الذاتِ والجوهرِ. يتصَّرفُ في توجيهِ الصِّيَغِ. يتشوَّفُ إلى القيمِ في ضوءِ البواعثِ والمحفِّزاتِ والأهدافِ. فإذا بالبطلِ صورةٌ متعالقة تعالقاً عضويًّا بين الذاتِ والموضوعِ، وليست متراكبةً تراكُبًا آليًّا تنفصلُ فيه حدودُ الأشياءِ؛ فتفترق الملامح.

إنّ دراسةَ البطلِ في شعرِ (علي بن خلف الحويزي) قراءةٌ في الحياةِ الواقعيَّةِ والسياسيَّةِ، وموقفٌ من الوجودِ، ورؤيةٌ في الفكرِ والقيادةِ لأميرٍ شاعرٍ تركَ لذاذاتِ الحياةِ ورفاهيةِ الإمارةِ. يرومُ أن يُوجِدَ ذاكرةً شعبيَّةً جماعيَّةً تخلِّدُهُ وتقدِّسُهُ.

---

(١) ترجمته وأخباره في: أمل الآمل ٢/ ١٨٧، سلافة العصر ص ٥٤٥، هدية العارفين ١/ ٧٦٢، إيضاح المكنون ١/ ٤٤٠، ٢/ ٥٦٨، أعيان الشيعة ٤١/ ٢٣٨- ٢٤٠، الغدير في الكتاب والسنة والأدب ١١/ ٣١٢، معجم المؤلفين ٧/ ٨٦- ٨٧.

The Hero in the poetry of Ali bin Khalaf Al-Huweizi

Dr. Shareef Basheer Ahmed
University of Mosul/College of Arts

Abstract:

This study is about the hero in the poetry of Ali bin Khalaf Al-Huweizi. It is the story of a worrior, a biography of a prince, an image of a character narrated and witnessed by the poet himself in different periods of time, where the poem envisages what is hidden in the description of the hero as well as defining his image, characteristics and deeds in the world of reality. This is due to the fact that the poet is a linguistic witness of what is observed or felt, what circled around the inner self and essence, creating formula and looking for certain values in the light of the motives and aims he has. Eventually, the hero may represent an image which is strongly related to the inner self as well as the object of the poem, rather than randomly accumulated to form a structure with no explicit features.

This study is an attempt to investigate the real political life, the attitude toward existence, the vision of thought and leadership by a prince poet who left behind him the joys of life and welfare of a prince, seeking to find a joint popular memory that would turn him immortal and sacred.

(علي بن خلف الحويزي) من شعراءِ العراقِ المتألِّقينَ في القرن الحادي عشر للهجرة في مدينةِ (الحويزة)(١) التي برزتْ في مُنتصفِ القرن التاسع للهجرة عاصمةَ (الإمارة المشعشعيَّة)(٢) التي أسَّسها محمد بن فلاح بن هبة الله الواسطي المشعشعي(٣) (ت ٨٦٦هـ- ١٤٦١م)؛ فتحوَّلتْ إلى مركزٍ من مراكزِ العلمِ والثقافةِ في العراقِ في القرن الحادي عشر للهجرة؛ يقصُدُها العلماءُ والأدباءُ والشعراءُ والمتأدِّبونَ بعد ما أُنْشِئَتْ فيها المدارسُ والمساجدُ والمكتباتُ، ونبغَ فيها كثيرٌ من العلماءِ والأدباءِ والشعراءِ(٤). منهم: محمد بن محمد بن حماد الجزائري(٥) (ت ١٠٢٠هـ- ١٦١١م)، وعبد الله بن حسين التستري(٦) (ت ١٠٢١هـ- ١٦١٢م)، وعبد النبي بن سعد الله الجزائري(٧) (ت ١٠٢١هـ- ١٦١٢م)، وعبد علي بن ناصر بن رحمة الله الحويزي(٨) (ت ١٠٧٥هـ- ١٦٦٤م)، وفتح الله بن علوان الكعبي(٩) (ت ١٠٩٥هـ- ١٦٨٣م)، وعلي بن باليل الجزائري(١٠) (ت ١١٠٠هـ- ١٦٨٨م)، وفرج الله بن محمد حسين التستري(١١) (ت ١١٢٨هـ- ١٧١٥م)، ومحمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري(١٢) (ت ١١٣٠هـ- ١٧١٧م). وأبرزُهُم، وأكثرُهُم شهرةً أدبيةً (علي بن خلف الحويزي) بوصفه شاعراً مبرَّزاً وأميراً حاكماً، جمعَ بين فضائلِ السِّنانِ وفصاحةِ اللسانِ؛ فتلازمَتْ في شخصَّيتِهِ قوةُ السيفِ، وجمالياتُ الشِّعرِ. إذ تسنَّمَ الحكَم/ الإمارةَ

---

(١) الحويزة مدينة عراقية بين واسط والبصرة والأحواز في وسط البطائح. معجم البلدان ٢/ ٢٠٠. والبطائح: الجزائر، وهي مجموعة جزر صغيرة تتوسط هور الحويزة. ينظر: البطائح الحالية: علي الشرقي، مجلة لغة العرب، الجزء ٧، السنة ٤، كانون الثاني- شباط، ١٩٢٧م، ص٣٧٥-٣٨٤، ص٤٧٤-٤٧٧، وينظر: الجزائر: علي الشرقي، مجلة لغة العرب، آذار-نيسان، ١٩٧٢م،ص٥٢٦-٥٣٠، ص٥٧٥-٥٧٨.

(٢) ينظر: مؤسس الدولة المشعشعية وأعقابه في عربستان وخارجها: جاسم حسن شبر، ص ٦١- ٦٨.

(٣) ترجمته وأخباره في: أعيان الشيعة ٤٦/ ١٩٢، تاريخ المشعشعين ص ١٥، مؤسس الدولة المشعشعية ص٥٥- ٦٨، إمارة المشعشعيين: د. محمد حسين الزبيدي، ص٦- ١٤، مختصر تاريخ البصرة ص١٢٤.

(٤) الأدب العربي في الأحواز: عبد الرحمن كريم اللامي، ص٥٧- ٧٦.

(٥) أمل الآمل ٢/ ٢٧٤، أعيان الشيعة ٤٥/ ٣٣٤.

(٦) أمل الآمل ٢/ ١٥٩، هدية العارفين ١/ ٤٧٤، إيضاح المكنون ١/ ٣٥٦، أعيان الشيعة ٣٨/ ١٠٠.

(٧) أمل الآمل ٢/ ١٦٢، أعيان الشيعة ٣٥/ ١٧٤.

(٨) أمل الآمل ٢/ ١٥٤، ١٥٦، هدية العارفين ١/ ٥٨٦، الأعلام ٤/ ١٥٦، تاريخ المشعشعين ص١١٣، ١١٥، تاريخ الأدب العربي في العراق: عباس العزاوي، ٢/ ١٨٩، الأدب العربي في الأحواز ص١١٩.

(٩) أعيان الشيعة ٤٢/ ٢٦٠، زاد المسافر ص٤.

(١٠) أعيان الشيعة ٥/ ٣٢٢.

(١١) سلافة العصر ص٤٩٢، أعيان الشيعة ٤٢/ ٢٦٨.

(١٢) أعيان الشيعة ٤٦/ ٢١٢، أدب الطف ٥/ ١٣٨، الأدب العربي في الأحواز ص٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٢.

في (الحويزة) من سنةِ (١٠٦٠هـ- ١٦٤٩م) إلى سنة وفاتِهِ في (١٠٨٨هـ- ١٦٧٧م)(١). ليصبح ليصبح الأمير← الحاكم← الملك← السلطان، والشاعر/ الأديب؛ ولتبرزَ الحويزة منارة ثقافةٍ، ومركز إبداعٍ، وعاصمة فكرٍ يتشوَّفها العوام، ويقصدُها الخواصُّ.

والدُهُ الأميُر (خلف بن عبد المطلب الحويزي)(٢) (ت ١٠٧٤هـ- ١٨٦٣م)، له عِلْمٌ في النحوِ واللغةِ والأدبِ والتفسيرِ والمنطقِ. كان قائداً عسكريًّا وفارساً بئيساً في عهدِ أخيه السلطان/ الحاكم مبارك بن عبد المطلب الحويزي(٣) (ت ١٠٢٥هـ- ١٦١٦م) الذي حكَمَ الحويزةَ من سنةِ (٩٩٨هـ- ١٥٨٩م) إلى سنةِ (١٠٢٥هـ- ١٦١٦م)(٤)؛ لكنه تحاملَ على أخيه (خلف)، وشكَّكَ في إخلاصِهِ، وولائه؛ فدبَّرَ له مكيدةً سَمَلَ بها عينيهِ في سنةِ (١٠١٣هـ- ١٦٠٤م)؛ ليبعِدَه عن خلافتِهِ في الإمارة(٥).

كان الصَّفويونَ يَطمعونَ في (الإمارة المشعشعيَّة) في الحويزة، ويَمقتونَ وجوَدها العربيَّ، ويرغبونَ في تدميرها؛ فإذا بالشاه إسماعيل الصفوي (ت ٩٣١هـ- ١٥٢٤م) يحتلُّ العراَق في مطلعِ القرنِ العاشرِ للهجرة، وتسقطُ بغدادُ فريسةَ جيوشِهِ الغازيةِ في سنةِ (٩١٤هـ- ١٥٠٨م)(٦). وتُدَمَّرُ (الحويزةِ) عاصمةُ الفكر والثقافة والأدب(٧). لكنَّ العثمانيين هَزموا الصفويينَ في معركةِ (جالديران) في سنة (٩٢٠هـ- ١٥١٤م) التي قادَهَا السلطانُ سليم الأول (ت ٩٢٦هـ- ١٥٢٠م)(٨)، وحَرَّروا العراقَ من براثنهم؛ فنهضت (الحويزةُ) من كبوتها، وأعاد إليها أمراؤها بهاءَها ونضارَتها.

لم يكن (علي بن خلف الحويزي) على وِفاقٍ فكريٍّ وعقائديٍّ مع الصفويين، وكان معارِضاً لهم قبل أن يكونَ (سلطاناً/ حاكماً) يحذرُ تَغلغُلَهم السياسيَّ في جنوبيِّ العراقِ؛ لأنه عربيٌّ في لسانِهِ وعقيدتِهِ ومدينتهِ، وكان صراعُهُ مع الآخر/ العدو من أجلِ الوجودِ؛ لأنه مُلتزمٌ

---

(١) سلافة العصر ص٥٤٥، أعيان الشيعة ٤١/ ٢٣٩.

(٢) أمل الآمل ٢/ ١١١، أعيان الشيعة ٣٠/ ٣٤، تاريخ المشعشعين ص٢٣٣، مؤسس الدولة المشعشعية ص١٣٩- ١٤٠.

(٣) أعيان الشيعة ٤٣/ ١٦٤، تاريخ المشعشعين، ص٢٨٥، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص٥، تاريخ العراق بين احتلالين ٤/ ١٤١.

(٤) إمارة المشعشعيين ص١٩- ٢٠.

(٥) أعيان الشيعة ٣٠/ ٢٧، مؤسس الدولة المشعشعية، ص٢٢٧.

(٦) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص٣٢.

(٧) إمارة المشعشعيين، ص٥٦.

(٨) كلشن خلفا: مرتضى نظمي زادة، ص١٨٥.

بسياقاتِ الحياةِ ومضامين الحرية، ففي سنة (١٠٤٩هـ- ١٦٣٨م) نفاهُ الشاه (صفي) إلى قزوين(١)، وبقي سنواتٍ غريباً مغترباً؛ فكان النفيُ والسَّجْنُ مأساةً شخصيَّةً يعانيها الشاعُر/ البطلُ متصلةً بالعذابِ والتشريدِ والشَّقاءِ الطويل، وفي سنة (١٠٥٣هـ- ١٦٤٣م) أطلق سراحه(٢)؛ ليعودَ ليعودَ مقاوِماً الصَّفويين الذين أَسقطوا إمارتَه (الحويزة)، واحتلوهَا سنةَ (١٠٧٨هـ- ١٦٦٧م)؛ فاعتقلوه أسيراً، ثم أَطلقوه(٣)؛ ليعوَد إلى الإمارةِ بعد سلسلةٍ من الفِتَنِ والمشاحَنَاتِ والصِّراعات القَبَليَّةِ في (الحويزة) التي أَسْهَمَ الصفويونَ في تأجيجِ أُوارِهَا ليقدم الشاعرُ/ البطل رؤيتَهُ الفكريَّةَ والسياسيَّةَ بالقصيدةِ، ويُعالجَ العالم الموضوعيَّ باللغةِ الشعريَّةِ، ويجمعَ الواقعيَّ والخياليَّ في سياقٍ مُتناظِرٍ، أوجَدَتْهُ مؤثِّراتٌ تأريخيَّةٌ وحضاريةٌ؛ فكان (البطلُ) ضرورةً فكريَّةً وقياديَّةً في المجتمعِ، وشخصيَّةً متحرِّكةً فاعلة في التغيير، لا تنسلخُ عن الجماعةِ والمجتمعِ، ولا تفارِقُ الأمةَ التي تشكِّلُ هاجِسَهُ المأزومَ في مراحل مختلفةٍ. إنه كائنٌ إنسانيٌّ واقعيٌّ. له تجربةٌ ذاتيةٌ خاصَّةٌ، تَبرزُ فيها الذاتُ فاعلةً مركزيةً؛ لكنه ليس بشخصيَّةٍ أسطوريةٍ غرائبيَّةٍ من عالمِ الخيالِ، وإن تفوَّقَ على نظرائهِ في الوجودِ فكريًّا وعقائديًّا وقياديًّا.

وقد لا تتطابقُ شخصيَّةُ البطلِ مع شخصيَّةِ الشاعرِ/ الإنسان بوصفه أميراً / حاكماً؛ لكنَّ الشاعَر يقدِّمُ عناصَر سيرتِهِ في شعرِهِ؛ فجعلَها عناصَر موضوعيَّةً يرتفعُ فيها صوتُ (الأنا) في رحلةٍ ذهنيَّةٍ يتوقُ فيها إلى الطمأنينةِ، ويبحثُ عن السَّعادةِ المفقودةِ أو المنتظَرَةِ. ولا أفترضُ التطابقَ في الحقيقةِ الموضوعيَّةِ بين الشاعرِ/ الانسان في الحياةِ الواقعيَّةِ وبين البطلِ في الوجودِ الشعريِّ الذي تظهرُ صورتُهُ مرويَّةً مسرودَةً، ولا أنتظرُ أن يَمنحني الشَّكلُ المرويُّ والصورةُ المنتَقَاةُ في (الشعرِ) صورةَ الأصلِ عن الشخصيَّةِ؛ فتلك هيئةٌ مثاليةٌ نموذجيةٌ، وهذه شخصيةٌ معهودةٌ تأريخيًّا وواقعيًّا.

*** *** ***

إنَّ البطلَ بنيةٌ كليةٌ تنضوي في سياقها المتآلِفِ شخصيَّةٌ فاعلةٌ ((قريبةٌ من الواقِعِ، حافلةٌ بعناصرِ الإقناعِ، مكتملةُ الملامحِ والسِّمات))(٤) تُسْنَدُ إليها أفعالٌ طموحةٌ مأمولةٌ – معهودةٌ تأريخيًّا وواقعيًّا تُحاكي ((نزوعَ الإنسانِ إلى المعرفةِ والكشْفِ عن المجهولِ واستئناسِ المتوحشِ، والتحكُّمِ في العناصرِ والتغلُّبِ على الزمانِ والمكانِ))(٥)؛ فتكتسب وجودَها بالفعلِ والتأثيرِ بجملةٍ

---

(١) إمارة المشعشعين: محمد هليل الجابري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٧٣م، ص٩٧.

(٢) ينظر: دور الأسرة الصفوية: علي غنام، مجلة الخليج العربي- جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، العدد (٣) لسنة ١٩٨٧م، والعدد (٢-٣) لسنة ١٩٨٨م.

(٣) إمارة المشعشعيين، ص٦٥.

(٤) مدخل إلى الأدب الإسلامي: نجيب الكيلاني، مطابع الدوحة الحديثة، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص٥٠.

(٥) البطولة في الأدب الشعبي: د. عبد الحميد يونس، مجلة الآداب – بيروت، العدد (١)، ١٩٥٩م، ص٨.

من الخصائصِ والمزايا والصِّفاتِ التي تتكوَّنُ بها صورةُ ((القدوةِ أو النموذجِ أو المثالِ الحيِّ الذي تتجسَّدُ فيه القيمُ))(١) الشموليةُ في الحياةِ والوجودِ بمستوياتٍ ذهنيَّةٍ وواقعيَّةٍ، تُشكِّلُ منظومةً أخلاقيَّةً ودينيَّةً وسياسيَّةً متكاملةً، إذ تظهرُ به مؤسسةٌ ثقافيَّةٌ – معرفيَّةٌ، وكيانٌ فكريٌّ يُغادرُ الواقعَ إلى الشعرِ؛ ليعودَ إليه ميداناً للفعلِ، ومعترَكاً للحدثِ ((يُعجبُ به الناسُ لما له من مآثرَ ومكرماتٍ))(٢)؛ فيغدو (البطلُ) في الشعرِ قيمةً موضوعيةً ورؤيةً ناضجةً، ووعيًا متحرِّكاً، وسلوكاً وسلوكاً فاعلاً مؤثِّراً في سلسلةٍ من الحوادثِ تَتغلغلُ إلى المتنِ الشعريِّ؛ فيلفتُنا ((شخصٌ فَذٌّ فيه تجتمعُ مزايا القومِ، وإليه يَرجعونَ في الملمَّاتِ، وبه يعتصمونَ عند الشَّدائدِ))(٣).

يتمتعُ الشاعر/ البطلُ بذاكرةٍ حيَّةٍ، ورؤيةٍ متوقِّدةٍ تحتضنُ (الوطنَ ← الحويزة)، ووجدانٍ حيٍّ يخترقُ اللاوعي كي يتفجَّرَ شعراً؛ لأنّ البطلَ بلا وطنٍ هائمٌ مهاجرٌ، وكائنٌ بلا جُذورٍ، والوطن بلا بطلٍ مستباحَةٌ حُرماتُهُ. فاقتضى التلازُمُ بينهما تفاعلهما واقعيًّا وعاطفيًّا:

يَحـــنُّ إلـــى أرضِ الحـــويزةِ نـــازِحٌ ... يُؤمِّـــلُ مـــن دُنيـــاهُ أَوْبَـــةَ غائِـــبِ(٤)
إذا مـــا ذكرنَـــا الكـــرْخَتَيْن وأهلَهـــا ... عرفـــتُ هوانـــا مـــن صـــهيلِ السَّـــلاهِبِ
ديـــارٌ بهـــا حَـــلَّ الشَّـــبابُ تمـــائمي ... وأرضٌ بهـــا جَـــرَّ الفَخَـــارُ ذَوائبـــي
محـــلُّ هـــوى قلبـــي ونُجْحِـــي ومَطلبـــي ... ومجمـــعُ أصـــحابي ومَغْنـــى حَبـــائبي
ومربـــعُ غـــزلانٍ فـــؤادي كناســـها ... ربائـــبُ أُنْـــسٍ فاضـــحاتُ الرَّبـــاربِ
فقـــدْتُ بهـــا عَيْشـــاً نهبْـــتُ نعيمَـــه ... أجـــل إنمـــا اللـــذاتُ نهبـــةُ ناهِـــبِ

واضحٌ أنّ (الوطنَ ← الحويزة) يختزلُهُ بيتٌ مأهولٌ وُلِدَ فيه البطلُ، ونشأ في فضاءٍ كان يشعر فيه بالحريةِ والحركةِ والشبابِ. إنه المكانُ الأليفُ المقترنُ بالدفء والشعور بالأمانِ والحمايةِ(٥)، يشيرُ إلى العلاقاتِ الحميمة بين الشاعرِ/البطلِ وبين الجماعة؛ يمتلكُ دلالةً إنسانيةً بثراءٍ ثقافيٍّ وتأريخيٍّ وروحيٍّ يتصلُ بالأشياءِ والأحداثِ والظواهرِ. إذ تتراسَلُ مع (الوطن الحويزة) صورٌ حافلةٌ بالحياةِ والخصْبِ والحركةِ؛ يتحوَّلُ بها المكان من الجغرافيَّةِ الطبيعيَّةِ إلى المدلولِ الاجتماعيِّ، والرمز الوجداني.

---

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي: ص٥٥.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص٧٨.

(٣) البطولة في الأدب الأندلسي وشمال إفريقيا: محمد مزالي، مجلة الآداب، بيروت، العدد (١)، ١٩٥٩، ص٨٩.

(٤) شاعر الأحواز القومي (علي بن خلف الحويزي)، رسالة دكتوراه، عبد الرحمن كريم اللامي، كلية الآداب– جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص١٩٨.

(٥) ينظر: جماليات المكان: غاستون باشلار، ص٤٣.

ولا يغامرُ البطلُ بالقطيعةِ الفكريَّةِ مع (الوطن)، ولا يهجُرُهُ كارهاً له، ناقماً عليه؛ بل يرغَبُهُ خصباً، ويرجوه عزًّا، ويدعوه فخراً وفرحاً، ويدعو له بالسُّقيا دعاءَ متضرِّعٍ متبتِّلٍ:

ألا فَسَقَى أرضَ الحِمَى كلّ رائحِ   هتونٌ يُرَوِّي الأرضَ بالهطلانِ[1]
فتزْهو به أكنافُهُ وعراصُهُ   فمِنْ أزرقٍ صافٍ وأحمرَ قانِ
مكان هَوى قلبي ومسْقط هامتي   وموسم لذَّاتي وشوق جَناني
ومجمع أطرافي ومأوى أحبَّتي   وملْعب أصحابي وجرْي حصاني

يرتحلُ الشاعرُ بالذاكرةِ، مع وطنِ الألفةِ والأمانِ والطمأنينةِ، من الحاضرِ إلى الماضي، يستعرضُ صوَر العشقِ والتوحُّد واللهفة؛ فإذا بالصُّور الحيَّةِ سجلاً لذاكرةٍ إنسانيّةٍ ووجودٍ تأريخيٍّ خرجَ بالدلالةِ الوطنيَّةِ من الفرديَّةِ إلى الجماعيَّةِ، وتجاوزَ التوصيفَ الجغرافيَّ إلى التدوينِ الشعريِّ بالكلمةِ. والدعاءُ بالسُّقيا للوطنِ سياقٌ تراثيٌّ في الشِّعر العربيِّ، فيه رغبةٌ واقعيَّةٌ بالخصبِ وديمومةِ الحياةِ والحركةِ. والفعلُ (يُرَوِّي) عدولٌ من الترقُّبِ إلى الحدوثِ، ومن القَطْرِ إلى الهَطْلِ. وتوظيفُ الفعل (تزهو)، في متنِ نبوءةٍ شعريَّةٍ، يُحيلُ على واقعٍ مُتغيِّرٍ متجدِّدٍ، ويُشيرُ إلى مكانٍ تكتنفُهُ البهجةُ بألوانٍ مزركشةٍ.

والشاعرُ / البطلُ يفخرُ بذاتِهِ، ويعتزُّ بشخصيَّتِهِ الفرديَّةِ. يتخيَّلُ نفسه مُمْتطياً صهوةَ الصِّعاب في كلِّ مكانٍ. يقومُ إلى الثِّقالِ من الحوادثِ فَيُطاعُ، ويَجري إلى الطِّماحِ من المكارمِ فَيُجَابُ. يَقترنُ حضورُهُ بالجيادِ السَّوابق في عُصبةٍ من الكُماةِ ينظرونَهُ قرينَ المجدِ والمدْحِ يتحرَّكُ في كلِّ زمانٍ، ويحضرُ في كلِّ آنٍ:

إذا قُمتُ قامَتْ لي إلى ما أَرومُهُ   جَحاجِحَةٌ شمْطٌ وأغلمةٌ مُرْدُ[2]
وإنْ أنا أجريْتُ الجيادَ لغايةٍ   فلا مطلبٌ إلا المكارمُ والحمْدُ
وإنْ أنا قرَّبتُ الجيادَ لحادثٍ   تهلَّلَ وجهُ العزِّ وابتسمَ المجْدُ

تبرزُ (الأنا) المستعليةُ في الأفعالِ الحركيَّةِ (قمتُ، أجريتُ، قرَّبتُ) بين الجماعةِ المستقبلةِ لشخصيَّةِ (القائد ← المنقِذ ← المرشِد) التي تعرفُهُ وقدراته، والتي تقدِّمُ له دعماً ماديًّا بدلالةِ الفعلِ (قامَتْ) ودعماً معنويًّا بدلالةِ الفعلِ (تهلَّلَ). وقد أنجزَ التماثُلُ الصَّوتيُّ في الفعلَين (قمتُ، قامتْ) تلازماً سلوكيًّا وفكريًّا بين البطلِ وبين الجماعةِ؛ بعد أن أدركَ الشاعرُ أنَّ التماثلَ الصَّوتيَّ ((يُقوِّي العلاقة المعنويَّة بين الوحداتِ المعجميَّةِ))[3].

---

(١) شاعر الأحواز القومي، ص٣٨٦.

(٢) شاعر الأحواز القومي، ص١٩١.

(٣) في سيمياء الشعر القديم: د. محمد مفتاح، ص٨٧.

ويفخرُ الشاعرُ / البطلُ بأبيهِ الذي يقهرُ الخوفَ، ولا يُدركُهُ الخوفُ، والذي يمتلكُ شخصيَّةً صادقةً لا تواجَهُ بالتشكيكِ، ولا تجابَهُ بالتكذيبِ في وجودٍ واقعيَّ لا يثيرُ الملَلَ، ولا يورِثُ السَّأم:

– وهذا أَبي الدَّاني الذي سَار ذكرُهُ   مسيرَ ذكا في غربِهَا والمشارِقِ(١)
أَجَلُّ بني الدُّنيا وأعْلى ذوِي العُلا   أقرَّ له بالفضْلِ كلُّ الخلائقِ
إذا جادَ عمَّ الأبعَدينَ بسَيْبِهِ   ونالَ العِدا بالنيلِ بعد الأصادِقِ

– هو القاتلُ الأبطالَ في حومةِ الرَّدى   هو الباذِلُ الأموالَ في السَّلْم للوفْدِ
يرى أحرمَ الأشياءِ حرمانَ سائلٍ   وأن يتلقَّى طالبَ الرِّفْدِ بالردِّ
يُلاقي عظيمَ الهائلاتِ بعزمِهِ   أشدّ على الأعداءِ من حَجَرٍ صَلْدِ

يعودُ البطلُ في وجودِه إلى الواقعِ؛ ليعلنَ ارتباطه بنسقِ الأبوَّةِ والذكورةِ؛ ولندركَ أنَّه كائنٌ بشريٌّ، وليس بشخصيَّةٍ خياليَّةٍ غرائبيةِ الأطوارِ، ونستوعبَهُ حلقةً فاعلةً في وجود فعَّالٍ متحقِّقٍ تأريخيًّا ((يبدأ بالموجود ويختفي في الوجود))(٢)؛ لأنّ الأب شخصيَّةٌ واقعيَّة تكيَّفَتْ مع الواقعِ والتحدياتِ عبر سيرورةٍ تكيُّفها السُّلوكيِّ بنداءاتٍ نحو الأرقَى والأسمَى. إذ تكافحُ البطولةُ الأبويَّةُ الفقرَ في سياقٍ من التكافُلِ الاجتماعيِّ الذي يبلغُ ((ذروةً إنسانيَّةً بطوليَّةً تتمثَّلُ في بذْلِ المالِ من أجل انتشالِ النفسِ البشريَّةِ من قبضة الموتِ التي تحاولُ وأْد نبضاتها وهي ما تزال غضَّةً تحبو على أعتابِ الحياةِ، وتتحسَّسُ أصداءَها))(٣).

ويفخرُ البطلُ بالجماعةِ العائليَّةِ التي ينتسبُ إليها، ولا يراها تمثِّلُ تهديداً لذاتهِ المتوقِّدة. إنهم شخصيَّةٌ تكامليَّةٌ – تفاعليَّةٌ، بأفعالٍ جماعيَّةٍ وليستْ أُحاديَّةً – فرديةً في الرؤيةِ والغايةِ. تتحرَّكُ عبر الزمنِ، وتُحرِّكُ الأحداثَ والمواقفَ بإرادةٍ واعيةٍ؛ لأن البطلَ جزءٌ حيويٌّ من الوجودِ الإنسانيِّ والواقعِ الجماعيِّ والوعي الجمعيِّ:

مَناجيبُ ما ضاهَاهُمُ غير خيْلِهِم   أعاريبُ أصْلٍ فوقَ خيلٍ أعارِبِ(٤)
لهم نَسَبٌ كالشمْسِ أشرقَ ضَوؤهُ   على هاشمِ العزِّ الكرامِ الأطايبِ

---

(١) شاعر الأحواز القومي، ص١٧٣، ص١٨٤.

(٢) الوجودية: جون ماكوري، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢، ص٢٢٨. ص٢٢٨.

(٣) البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام: د. مؤيد اليوزبكي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨م، ص٧١.

(٤) شاعر الأحواز القومي، ص١٩٥.

مغاويرُ نالوا مجدَهم بسيوفِهم   وما رغِبوا إلا ببذلِ الرغائبِ
فنيرانُهم والليلُ مُرخٍ سُتورَهُ   ترحِّبُ بالسَّارِينَ من كلِّ جانبِ
غنوا بِهُدَاها عن هَوى كلِّ كوكبٍ   ونالوا بها ما لم يُنَلْ بالكواكبِ

تشكِّلُ العائلةُ / الجماعةُ تجربةً تحقِّقُ الشُّعورَ بالجبروتِ والقوةِ حَدَّ التطابُقِ والتماهي بين أفرادِها، فهم ((صورةٌ مثاليَّةٌ للإنسانِ المطلوبِ والمجتمعِ المرغوبِ[1])) فيه؛ تتحقَّقُ فيهم الصُّورةُ ((التي تُريدُها الذاتُ للذاتِ من حيثُ التكاملُ))[2] في البطولةِ المتقِدَةِ في النُّخْبَةِ التي ترفضُ الحياةَ الذَّليلةَ، والحرمانَ المهينَ، والتي تُحوِّلُ الحياةَ والمجتمعَ من السُّكونِ إلى الحركةِ، ومنَ الغيابِ إلى الحضورِ، ومنَ الشَّقاءِ إلى السَّعادةِ.

وتتفاعَلُ شخصيَّةُ البطلِ مع الجماعةِ، وتستقبلُ وجهةَ نظرهِم، ولا يُديرُ (البطلُ) ظهرَهُ للمجتمعِ والحياةِ والعالمِ؛ في تحولٍ خطابي من الفردية الى الجماعية لتَظهرَ إرادتُهُ وشخصيَّتُهُ في الجماعةِ بكيفيَّاتٍ وهيئاتٍ مختلفةٍ في الأزماتِ والصِّراعاتِ؛ وليعلنَ عن نفسهِ، ويُقدِّمَ الحلَّ والإنقاذَ. لكنَّ الجماعةَ تمارسُ ضغطاً على (البطلِ)، وتنتقدُ سلوكَهُ وهو على غير انسجام ووئام معها؛ وإنْ أبرزتْ صورتَهُ التي يحبُّ، وضاعفتْ من نرجسيَّتِهِ بينها؛ لأنه يعتقدُ أنه يؤلِّفُ مع الجماعةِ جسداً متماسكاً، ويرى ذاتَه مثاليَّةً مُنقِذَةً مُخلِّصَةً، تقودُ المجتمعَ، وتحكُمُهُ، وتتحكَّمُ فيه برؤية فردية وإرادة مطلقة:

أولئكَ رهْطي إنْ جفَتْني عشيرَتي   وقومي إذا كانوا عليَّ أعادِيَا[3]
هدَى اللهُ قومي كم أُريدُ صَلاحَهم   وبُغيتُهُم لو يَقدرونَ فسادِيَا
وما طَلَبوا إلا نقيصَةَ حظِّهم   عمًى بهمُ عن حظِّهم أم تعاميا
وإنّي وإنْ كانوا عليَّ أعزَّةً   لأرْمي بمَنْ رامَ الشِّقاقَ المراميَا
وأعتِسفُ البيدَ القِفارَ مُجانِبًا   ويا خُسْرهم إنْ عنهمُ رحتُ نائيا
وإنْ كرِهَ الإخوانُ حسْنَ رفاقَتي   كفَتْني القَنا والمرهفاتُ المواضِيَا

تُعلنُ الأبياتُ ثنائيَّةً ضديَّةً في الوعي والسُّلوك تتخالَفُ فيها الإرادةُ، وتَفترقُ الغايةُ. فالجماعةُ مجافيةٌ (للبطل ← المنقِذ ← المخلِّص ← الفاعل) جفاءً يحتضنُ الفسادَ والمنقصَةَ والعِداءَ. ويظهرُ البطلُ متعاليًا فوق الصَّغائرِ. يحملُ هُمومَ الجماعةِ ساعيًا إلى الصَّلاحِ

---

[1] (١) قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية: د. علي زيعور، ط١، دار الطليعة – بيروت، ١٩٨٢م، ص٣٥. ص٣٥.

[2] (٢) قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية: ص٣٥.

[3] (٣) شاعر الأحواز القومي، ص٤٨٥.

←

والإصلاحِ والوِئامِ؛ لكنَّه يقتنصُ من الجماعةِ أشْقَاها وأغْواهَا وصولاً إلى الطُّهْرِ الفكريِّ معتقِداً أنّ رحيلَه نائياً في البْيدِ القِفارِ يُوقِعُ الجماعةَ في مَهلكةِ الشّتاتِ والتيهِ والفوضى، إنَّه النظامُ والآخرونَ العبثُ. وربما يكونُ البطلُ مُسْتَعْليًا على الجماعةِ؛ فكرهَتْهُ. مستخفًّا بأفرادِهَا مُزْدَرِيًا لهم؛ فلم يألفوه. يُسفِّه آراءَهم؛ فاسْتعدَاهم عليه. يكلِّفُهم مالا يُطيقونَ؛ فانْقلبوا عليه. كأنَّه في خِصامٍ مع الجماعةِ مغتربًا عنها بفكرِهِ وسلوكِهِ وغاياتِهِ الطِّماحِ؛ حتى باتَتْ رفقتُهُ كراهةً. لكنَّ (البطلَ) يسلكُ مسلكَ (الأحرار الأبطال) في رفقةِ السَّيفِ والرمحِ والحصانِ في رحلةِ (الأنا) نحو التفوقِ يخسرُ فيها (البطلُ) الجماعةَ، وتخسرُ الجماعةُ مزايا (البطلِ) ومروءَتَهُ.

ويحاولُ البطلُ أن يُقنعَ الجماعةَ بما يمتلكُ من قدراتٍ تطردُ الوهمَ، وتُقيمُ الوعيَ في سياقٍ تظهرُ فيه (الأنا) المعرفيَّةُ قوةً معنويَّةً تزوّدُ الفردَ والجماعةَ بالفكرِ والمعرفةِ؛ تنشطُ فيها الذاكرةُ والحركةُ بعد السكونِ / السُّباتِ:

إذا ما خَطَبْتُ المجدَ بالسَّيفِ صارماً   نكحتُ بناتِ المكرماتِ النواهِدَا(١)
ومنْ كان قلبي بين جنْبَيهِ كامناً   يَرُحْ مِنْ عُلاً أعلى المجرَّةِ صاعِدا

إنّ الخطاب الفردي الظاهر في البيتَيْنِ خطاب للكل، لكن البطل لا يغادرُ ذاتَه، ولا يرمي بنرجسيَّتِهِ وراء ظهرِهِ، ولا يقفزُ فوق (أناه) خدمةً للجماعةِ التي يرغبُها ملتصقةً به، إذ يوظِّفُ فعلَيْنِ بمدلولٍ اجتماعيٍّ (خطبْتُ ونكحْتُ) يخترقانِ حُجُبًا كثيفةً من الصِّراعِ وصولاً إلى المأثرةِ في مزاوجة سياقيةٍ وفكرية بين المعنوي والحسيِّ. والمجدُ قيمةٌ أخلاقيةٌ وخلودٌ معنويٌّ، والمجرَّةُ عُلوٌّ في السَّماءِ وبُعْدٌ في السُّرَى؛ والسموُّ والرفعةُ يلتقيانِ غايةً في (قلب البطل) الذي يرفضُ المهادنَة والموارَبة بسيفٍ صارمٍ مأثورٍ؛ لأنَّ سلاحَ البطلِ وسيلةٌ من وسائلِ ((الحياةِ والقدرةِ الفاعلةِ في تحقيق النصرِ، والأداةُ المتحكِّمةُ في تغييرِ الواقعِ))(٢).

والبطلُ، في الحياةِ والشِّعر، مقاتلٌ جسورٌ، وشجاعٌ مقدامٌ وليس بمتهوِّرٍ ولا خوَّارٍ. فتَّاكٌ في صراعهِ مع الأعداءِ / الخصومِ. إنّهُ الفاعلُ الحاضرُ، وليس الغائبَ المأمولَ، أو المنتَظَر المرجوّ. يظهرُ في الوجودِ الواقعيِّ بكيانٍ حسيٍّ منظورٍ، وشخصيَّةٍ حيَّةٍ؛ بوصفهِ مركزَ القوةِ المشعَّةِ:

أنا الأسدُ الوثَّابُ إنْ صَالت العِدَا   ولكنني للهِ أرضَى وأغضبُ(٣)

---

(١) شاعر الأحواز القومي، ص١٦٨.

(٢) صناعة السلاح عند العرب: د. نوري حمودي القيسي، مجلة دراسات الأجيال، المجلد (٢)، العدد (١)، لسنة ١٩٨١م، ص٦٣.

(٣) شاعر الأحواز القومي، ص٤٦٢.

فلو شاهَدَتْ أمْري نزارٌ وعِقَّتي   أطاعَتْ بما أقضي نزارٌ ويعربُ
وصَمَّمْتُ إذ أعيَتْ حُلومِيَ فيهِمُ   وجرَّدْتُ عَضْبَ الفتْكِ لمَّا تسغَّبوا

يكشفُ الشاعرُ / البطلُ عن مرجعياته في الصِّراعِ مع الأعداءِ؛ وهي المرجعية الدينيَّةً: (للهِ أرضى وأغضَبُ)، في إشارةٍ إلى خروجِ الخصومِ / الأعداءِ عن سننِ العقيدةِ ومبادئها؛ لنتعاطَفَ معه دونَهم، ونحمل عليهم معه في وثبتِهِ، وننظرهُ بطلاً متفوِّقًا في الحربِ يقفزُ فوق الذاتِ، ولا يعبأ بالقتْلِ/ الموت في المعاركِ الملتهبةِ، ويحلمُ البطلُ بأمنيةٍ شعريَّةٍ تنظرُهُ فيها أصولُ العربِ من قبائلِ (نزارٍ ويعرب) نظرةَ إعجابٍ ومُباهاةٍ في الفعلِ والصِّفةِ بمرجعية قومية. كأنَّ الجماعةَ التي يعايشها البطلُ، لم تنظرْهُ، ولم تشاهِدْ فعلَه، ولم تُطِعْ له أمراً، لكنَّ البطلَ / المحاربَ غيرُ راغبٍ في بداءةِ الحربِ كراهةَ الخرابِ، وهو يُعلنُ أنّ أعداءَه هم البادئونَ في الصَّولةِ؛ فإذا به ينهضُ بفعلَيْن متتاليَيْن (صَمَّمْتُ   جَرَّدْتُ) في صورةٍ تعبرُ ← عن ((قوةٍ وشجاعةٍ فائقةٍ في الوصول إلى المعتدي والقضاءِ عليهِ، وعن مروءةٍ تتمثَّلُ في حزمِهِ في القولِ والفعلِ، وفي صبرِهِ وجَلَدِهِ وتضحيتِهِ في مواجهة الظروفِ))(١).

ويتجرَّدُ البطلُ من الأهواءِ المزريةِ، والميولِ النزقَةِ. لا يُسرِعُ إلى الشَّرِّ، ولا يهيجُهُ، ولا يُبطئ عن النجدةِ. تحكُمُهُ التجربةُ والحقيقةُ الموضوعيةُ لا العاطفة الآنية. ليس رجلاً من الرجالِ العابثينَ / اللاهينَ، بل يبذلُ مالَهُ لخيرِ الإنسانِ وكرامتِهِ وحياتِهِ؛ حتى يحرِّرَهُ من الفقرِ والمذلَّةِ، وينهضَ بهِ إلى القوةِ والمتانَة بمرجعية تستند الى القيم والأعراف الاجتماعية والأخلاقية:

فما راحَتي في أكؤسِ الرَّاحِ تُجتلَى   ولا طربي في كلِّ مَائسةِ القَدِّ(٢)
ولا شَاقَ قلبي أدعجُ الطَّرْفِ أحورٌ   ولابتُّ أرْعى النَّجمَ شَوقاً إلى دعْدِ
ولكنْ إلى المعروفِ والفضْلِ والنَّدى   أحنُّ ولبْسِ الدِّرعِ والفرَسِ النَّهْدِ
وبي صبوةٌ لكنْ إلى جَلوةِ العُلا   وبي شَغَفٌ لكنْ إلىَ ذُروةِ المجْدِ

إنَّ البطلَ في النصِّ مثاليٌّ لا تُغريه الخمرةُ؛ فينتَشي بها، ولا تُغويهِ غانيةٌ لعوبٌ دَلوعٌ؛ فيرتَمي في أحْضانها ويَرتوي من أُنوثَتها، ولا تستميْلُهُ العيونُ الحورُ التي تُصْبي وتصيبُ القلوبَ الرَّقراقةَ بأسْهُمٍ من لواعجِ الشَّوقِ والحرقةِ، ولا يستسلمُ للطَّيفِ الزائرِ بُعَيْدَ الغُروبِ. إنه فوقَ الواقعِ المألوف، وإنْ كان واقعيَّ التكوينِ في الحركةِ والقلقِ والأرقِ. إنسانٌ يسمو فوقَ عواطِفِهِ الجيَّاشةِ لغاياتٍ لها همَّةٌ عاليةٌ، وإرادةٌ صُلبةٌ، نَشِطٌ في دروبِ الخيرِ، يزرعُ الخيرَ الخَصِيْبَ في النفوسِ المجدِبَة. شَغوفٌ بالقتالِ من أجل السِّلْمِ والحياةِ، ولوعٌ بالسيفِ والرمحِ والحصانِ يدفعُ بهم

---

(١) البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص٨٩.

(٢) شاعر الأحواز القومي، ص١٨٣.

الخطوبَ، يَمتطي هامةَ الملمَّاتِ. توَّاقٌ إلى المجدِ؛ فإذا بالماديَّاتِ تذوبُ في عيْنَيْه، والقيم تعلو بين ذراعَيْه.

ويُعلمنُا البطلُ / الشاعرُ أنه يُسيطرُ على قُواهُ الإدراكيَّة والجسمانية؛ ليظهرَ في عيونِنَا شخصيَّةً مُستنيرةً تُحيطها الهيبةُ والمهابةُ. إلا أن أفعالَه ليست خارقةً للطبيعةِ الإنسانية؛ لأنه أطّر/ أوقف نفسَه في خدمةِ الإنسانِ، ومن أجلهِ، من خلال (الأنا) الجسديةِ التي تمثِّلُ قوةً ماديَّةً:

أُفَتِّشُ أحشاءَ الليالي عسى أرى ... صَديقًا صَدوقًا أو رفيقًا مُوافِيَا[١]
إذا ما ركِبْتُ الخطْبَ أو خضْتُ لجَّةً ... يَشُدُّ ولا ماضي الغِرارَين ماضيا
وإني أُجاري النَّجمَ بالسُّهْدِ والسُّرى ... على أنني أجْرى مِنَ النَّجم عادِيا
مِنَ الفَلَكِ الجَاري أظنُّ تقلْقلي ... فها أنا ذا لا أبرحُ الدَّهرَ جاريا
نفورٌ عن الأوطانِ مُستصحبُ الفَلا ... هجرتُ الغَواني مذ وصلتُ المواميا
وقد علمتْ نفسي وقد شفَّها الهوى ... يُعاصي المعالي مَنْ أطاعَ العَواليا

أحسبُ أنّ البطلَ يصّورُ ذاتَه في حَراكٍ دؤوبٍ، ويَعتني بنفسهِ دونَ الآخر حتى يعلوه بالفعلِ والكلمةِ. ويقدم نفسه نموذجاً بطولياً ليقتدي به الآخرون؛ لكنّ الأفعالَ المتلاحِقَةَ في النصِّ (أُفَتِّشُ، ركِبْتُ، خضْتُ، أُجاري، أَجرى، لا أبرحُ) تُوحي بإحساسِ (البطل / الفرد) بالاغترابِ في سياقٍ لغويٍّ لم يَرَ فيه (صديقًا صدوقًا أو رفيقًا موافيًا) في رحلةٍ يُصاحبُهُ فيها (السُّهد والسُّرى)، ويرقُبُهُ (النجمُ)، وتُقلقِلُهُ (الفلكُ)؛ ليؤكِّدَ لنا قدرتَه على الفعلِ والمثابرةِ؛ لأنَّ إرادةَ الحركةِ والقوةِ التي يُعلنها شعريًّا ((موجودةٌ بوصفها تابعةً للمستقبلِ وهي تُريدُ المستقبلَ من حيثُ المبدأُ وتُريدُ الممكنَ ومايزالُ مفتوحًا))[٢]. وأظنُّ أنَّ أفعالَ البطلِ وحركاتِهِ المتلازمة انكفاءٌ على الذاتِ، وليست خروجًا خروجًا منها، أو امتدادًا في الآخرين. إنها تجميعٌ للذواتِ في ذاتِهِ وليست تقسيمًا للذاتِ في الذواتِ الأُخَرِ. وافتداءٌ للذاتِ، لا للآخر إنه معتد بنفسه بإفراطٍ يعتقد فيه أنّ الآخرين متهافتونَ لا يستحقون ما يستحق؛ لأنهم لم يفعلوا فعله، ولم يقولوا قوله.

والشاعرُ / البطلُ تَعتريه نوباتٌ من الحيرةِ والقلقِ؛ فتتصارعُ هواجسُهُ وأفكارُهُ في ذاتِه، تتجاذَبُهُ الوقائعُ والأحلامُ، وتسيرُ به النوازِلُ والبشائرُ وتحتويه ساعاتٌ من التمرُّدِ والصَّلادَةِ في ضديَّةٍ سلوكيَّةٍ تتجاوَرُ فيها الملامحُ الإيجابيةُ للبطلِ والملامحُ السَّلبيةُ للآخر في الحياةِ الواقعيَّةِ.

---

[١] شاعر الأحواز القومي، ص٤٨٥.

[٢] فلسفة نيتشة: أويفند فنك، ترجمة: إلياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٤م، ص٩٦.

يَعيشُ بين الأحزانِ والضياعِ والمسْكَنَةِ؛ لكنَّه لا يفقدُ ثقته بنفسِه وبقدراتِهِ. يترجَّحُ بين القُنوطِ والرَّجاءِ وبين اليأسِ والأمل:

لو كانَ بعضُ الذي ألقَى منَ المِحَنِ   يَبلى به زَمني ما ساءَني زَمني(١)
ما للزمانِ، كفانَا اللهُ صولتَهُ،   بالخطْبِ دونَ البرايَا قد تغمَّدني
إن كنتَ تجهلُ قدْري لستَ تعرفُهُ   فاسْألْ عنِ الهمِّ والبلوى فتعرفني
مَنْ كانَ ذا الدهر أبكاهُ وأضحكهُ   فما حظيْتُ بيومٍ منه أضحكَني
في كلِّ صبحٍ جديدٍ أو مسَّيته   تنوبُني نائباتٌ منه تُمرضُني
قد لازَمَتْني فلو حاولتُ فرقتَها   أبتْ نوائبُ دهْري أن تُفارقني

إنّ البطلَ في النصِّ يتحرَّكُ في زمنٍ يُشْعِرُهُ بالمرارةِ والأسى، ويُحاولُ تبخيسَ (أناه) المستعلية فوقَ الجمهورِ، ويقهرُ إرادتَه في الحياةِ، ويرغبُهُ بطلاً مقهوراً شريداً طريداً، يُعاني تشتتاً وخرابًا فكريًّا بلا عزاءٍ، وشتاتًا وجدانيًّا بلا دِثارٍ، ومأساةً وجوديَّةً بلا مُواساةٍ أو مؤانَسةٍ. لكنّ البطلَ / الشاعرَ لا يستحيلُ إلى شخصيَّةٍ فلسفيَّةٍ تجريدية؛ لأنَّه يمتلكُ همومَهُ الدُّنيويَّةَ والحياتيَّةَ. ونراهُ في الكثيرِ من المواقفِ يحتكمُ إلى الواقعِ يُصارعُ المسكنَةَ. يُغامرُ، ويُعاندُ، ويمتلئ قوةً وحيويةً، ويعتقدُ في نفسهِ قوَّةً جسديَّةً، ورباطة جأشٍ، وقدرةً ذهنيَّةً تتحمَّلُ الأعباءَ والصِّعابَ؛ ليعلنَ أنَّ غيابَه سكونٌ وسُباتٌ، وحضوره حركةٌ ونماءٌ، ويتصور/ يظنُّ البطلُ الدهرَ قوةً مضادَّةً لقوَّتِهِ المدافِعة؛ إذ بمقدورِهِ أن يحوِّلَ حياتَه من الحركةِ إلى السكونِ، ومنَ الحضورِ إلى الغيابِ، ومن السَّعادة بالحياةِ إلى الشَّقاءِ في الوجودِ.

*** *** ***

إنَّ (علي بن خلف الحويزي) حقيقةٌ تأريخيةٌ، ووجودٌ واقعيٌّ لكنّ البطلَ شخصيَّةٌ شعريَّةٌ ناميةٌ متطوِّرةٌ. تتحرَّكُ عبر الزمنِ، وتُحرِّكُ الأحداثَ والمواقِف بإرادةٍ واعيةٍ؛ لتكونَ شخصيَّةُ (الشاعر / البطل) وسماتُهُ حلقاتٍ متلاحمةً، وليس محطات سفرٍ في بداءاتٍ مرتَحِلةٍ، أو تارات تتلاطَمُها الحيرةُ. وفي الوقتِ الذي شكَّل فيه البطلُ رؤيةً وفكرةً وقضيةً؛ فإنَّ الشاعرَ قد حوَّل حياتَه بالكلمةِ من السكونِ إلى الحركةِ بلا ضجيجٍ، ومن الغيابِ إلى الحضورِ بلا عجيجٍ.

إننا نُدركُ أنّ (الشاعر / البطل) فرديٌّ – ذاتيٌّ في وجودِهِ وشخصِهِ، له حضورٌ يُوازي غيابَ البطلِ الجماعيِّ الذي لم يستوعبْه الشاعرُ، ونفهمُ أنه جزءٌ حيويٌّ من الوجودِ الإنساني، ومصدرٌ من مصادرِ المعرفةِ المشعَّةِ، وقوةٌ تمتلكُ قرارَ المواجَهةِ والمجابَهةِ، وفاعلٌ إيجابيٌّ لا يزرعُ الخنوعَ والخضوعَ؛ بل يحملُ الإرادةَ والوعيَ والكلمةَ، وفي الوقتِ الذي يَظهرُ فيه البطلُ

---

(١) شاعر الأحواز القومي، ص٣٤٧.

شخصيَّةً تُحرِّكُ الواقعَ، وتُشاركُ في أحداثهِ بفاعليَّةٍ؛ فإنّ الشاعرَ يجنِّدُ طاقاتِهِ كافةً ليصفَ (البطلَ)، وينقلَ صورتَهُ إلى المروي له؛ فيكون الشاعرُ سارداً يَصطحبُ القارئ ليُعاينَ (البطلَ) باللغةِ، وينظرَهُ من خلالِ سياقاتها؛ ليقيمَ بينهما سمةً مشتركةً من سماتِ التفاعُلِ الوجدانيِّ.

المصادر والمراجع:

١. أدب الطف (أو شعراء الحسين): عبد الحسين أحمد الأميني، دار التراث الإسلامي، بيروت، ١٩٧٤م.

٢. الأدب العربي في الأحواز (من مطلع القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر): عبد الرحمن كريم اللامي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥م.

٣. أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ستيفن هيمسلي لونكريك، ترجمة جعفر الخياط، ط٤، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.

٤. الأعلام: خير الدين الزركلي، ط٣، بيروت، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٥. أعيان الشيعة: محسن الأمين العاملي، ط١، مطبعة العرفان، صيدا - لبنان.

٦. إمارة المشعشعين: محمد هليل الجابري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٧٣م.

٧. إمارة المشعشعيين (أقدم إمارة عربية في عربستان): د. محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة - بغداد، ١٩٨٢م.

٨. أمل الآمل: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس، بغداد (د.ت).

٩. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ-١٩٢٠م)، ط٣، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

١٠. البطائح الحالية: علي الشرقي، مجلة لغة العرب، الجزء (٧)، السنة (٤)، كانون الثاني - شباط، ١٩٢٧م.

١١. البطولة في الأدب الشعبي: د. عبد الحميد يونس، مجلة الآداب - بيروت، العدد (١)، ١٩٥٩م.

١٢. البطولة في الأدب الأندلسي وشمال إفريقيا: محمد مزالي، مجلة الآداب، بيروت، العدد (١)، ١٩٥٩م.

١٣. البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام: د. مؤيد اليوزبكي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨م.

١٤. تاريخ الأدب العربي في العراق: عباس العزاوي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٢م.

١٥.تاريخ العراق بين احتلالين: عباس العزاوي، مطبعة بغداد، ١٩٥٦م.

١٦.تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم: جاسم حسن شبر، مطبع الآداب، النجف الأشرف، العراق، ١٩٦٥م.

١٧.الجزائر: علي الشرقي، مجلة لغة العرب، الجزء (٧)، السنة (٤)، آذار – نيسان، ١٩٢٧م.

١٨.جماليات المكان: غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، سلسلة وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ، بغداد – العراق، ١٩٨٠.

١٩.دور الأسرة الصفوية: علي غنام، مجلة الخليج العربي– جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، العدد (٣) لسنة ١٩٨٧م، والعدد (٢–٣) لسنة ١٩٨٨م.

٢٠.زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر: فتح الله بن علوان الكعبي، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٤م.

٢١.سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر: السيد علي بن أحمد بن معصوم (ت١١١٩هـ–١٧٠٦م)، ط٢، مطابع علي بن علي، الدوحة – قطر، ١٣٨٢هـ.

٢٢.شاعر الأحواز القومي (علي بن خلف الحويزي) (١٠١٨هـ–١٠٨٨هـ= ١٦٠٩م–١٦٧٧م)، دراسة في حياته وشعره وتحقيق ديوانه (خير أنيس لخير جليس): عبد الرحمن كريم اللامي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب– جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

٢٣.صناعة السلاح عند العرب: د. نوري حمودي القيسي، مجلة دراسات الأجيال، المجلد (٢)، العدد (١)، لسنة ١٩٨١م.

٢٤.الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبد الحسين أحمد الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٦٧م.

٢٥.فلسفة نيتشة: أويفند فنك، ترجمة: إلياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٤م.

٢٦.في سيمياء الشعر القديم (دراسة نظرية تطبيقية): د. محمد مفتاح، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٨٢م.

٢٧.قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية: د. علي زيعور، ط١، دار الطليعة – بيروت، ١٩٨٢م.

٢٨.كلشن خلفا: مرتضى نظمي زادة، ترجمة: موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.

٢٩.مؤسس الدولة المشعشعية وأعقابه في عربستان وخارجها: جاسم حسن شبر، مطبعة الآداب – النجف الأشرف، العراق، ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.

٣٠.مختصر تاريخ البصرة: علي ظريف الأعظمي، مطبعة المكتبة العربية، ١٩٤٧م.

٣١.مدخل إلى الأدب الإسلامي: نجيب الكيلاني، مطابع الدوحة الحديثة، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣٢.معجم البلدان: ياقوت الحموي، مطبعة دار صادر - بيروت، ١٩٥٦م.

٣٣.معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٧م.

٣٤.معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان- بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٣٥.هدية العارفين أسماء الكتب والمؤلفين والمصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، منشورات مكتبة المثنى- بغداد، (د.ت).

٣٦.الوجودية: جون ماكوري، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢م.